شرسا (في الصحف ، وفي رسائل الى صحيفة **جويش كرونيكل** ، وفي سلسلة من الرسائل المرسلة الى عنوان بيتي) ، كما انني تعرضت لهجوم شنه علي اعضاء جماعات ضاغطة في بريطانيا ، مكرسة للقضية العربية الاوسع .

اني اذكر كل هذا لانه يجعل رفض غرانادا لكتابي اكثر غرابة وغموضا . فكتابي في آخر الامر مؤيد للعرب ، ولكنه في الوقت ذاته يهاجم **ايـة** مؤسسة تعمل ضد مصالح الشعب الفلسطيني بوجه عام . فهو ينتقد البريطانيين والصهاينة والمؤسسة العربية ، وهذه النقطة الاخيرة اثارت أشد الانتقادات من الجماعات الضاغطة. فانا أعتبر الشعب الفلسطيني ضحية خطأ مريع هائل ، وانحو باللوم على استغلالات البريطانيين والصهاينة والاميركيين ، كما انحو باللوم على حكومات عربية معينة لاساءتها الفادحة ادارة المشكلة واساءتها معاملة الجاليات الفلسطينية الموضوعة تحت رحمتها . وانا ضد قوة الطبقات الحاكمة وأحسن العائلات والنخبة في الشرق الاوسط ، والمازق المريع الذي يواجه من هم اقل حظا . وان ادراكي لوجود حرب طبقية حادة في الشرق الاوسط ، وادراكي لمحنة اليهود الشرقيين في اسرائيل ، وجهودي لفضح نفاق حكومات عربية معينة قد زجني في نزاع مع الذين يفضلون تجاهل هذه الامور وينتقدونني للسماح لهذه الحقائق بأن تصرف انتباه غير المطلعين عن اعتراضاتنا الاساسية على الصهيونية .

ان كتابي هو ابعد ما يكون عن كونه قطعة من الدعاوة للقضية . لقد حاولت أن أشرح المأزق من وجهات نظر عديدة بقدر الامكان ، لاعطاء اوسع نظرة لغير المطلعين . فالدعاوة المتملقة لا توصلك الى هدفك ، بسرعة ، وكثيرا ما تؤدي الى عكس ما يبتغيه المرء . لقد كلفتني غرانادا بتأليف الكتاب وشددت على رغبتها في الحصول على رواية تفسيرية للمشكلة الفلسطينية . ويسرني ، بطريقة ما ، ان تكون معرفتي بحالة الشرق الاوسط قد ابتدأت من نقطة الوهم الجسيم الذي سرعان ما تحطم ، ثم توصلت الى الحقيقة . انني اعرف بعض الشيء الآن عن كيفية النفاذ عبر طبقات الاعتقادات والافكار الخاطئة في الغرب .

لقد جربت معرفتي هذه في كتابي « المشكلة الفلسطينية » . لم يكن الان بروك ، المحرر الشاب في دار روبرت هارت — ديفيز ، يعرف عن حالة الشرق الاوسط الا النزر الضئيل ، ولذا لم استطع اقامة حوار مرض معه وكان هذا امرا مزعجا . وكان يعترض على أية تعليقات أضيفها الى المحتوى الواقعي للفصول ... ويقول : « الزمي نفسك بالحقائق فحسب ... اشرحي كل شيء بأكثر ما تستطيعين من التفاصيل ... ودعي هذه التفاصيل تروي القصة » . كان هذا طلبا عادلا . وبعد بداية متسرعة ومترددة ، وضعت اول مسودة . وفي اواخر ١٩٧١ ، قدمت المسودة لمايكل آدمز في « مجلس تحسين التفاهم العربي البريطاني » لمراجعتها ، وحرصت على ان اضم كل اقتراحاته وتعديلاته وتصحيحاته في مسودة ثانية . ثم قدمت دار هارت — ديفيز المخطوطة لمحرر مخطوطاتها الخارجي . ولم يسمح لي قط بمعرفة هوية هذا المحرر ، وكل ما علمته هو انها كانت امرأة و « خبيرة » في الشرق الاوسط . ومن انتقاداتها ادركت ان معرفتها لم تكن محدودة الى حد محزن فحسب ، ولكنها صهيونية مئة بالمئة ايضا . وقد لفت نظر المحرر الان بروك الى هذا الامر فحاول ان ينكر تحيزها الى ان اثبته له بمساعدة حقيقة قوية . لقد كانت انتقاداتها للنصوص عديدة ولا يمكن ذكرها هنا بالتفصيل ، باستثناء نقطتين او ثلاث توضح مدى معرفتها . ففي فصل يحمل العنوان « الهجرة + الاستيطان = الاضطرابات » فصلت المشكلات التي واجهتها تلك العائلات الفلسطينية التي تشردت حينما بيعت الارض التي كانت تقيم عليها الى اليهود (منذ الايام الاولى للانتداب) . وقد اصرت المحررة ان مثل هذا التشريد لم يحدث . فلفت نظر محرري الى ان البريطانيين اصدروا قانونين وقائيين ، هما **قانون نقل الاراضي** الذي يؤمن التعويض عن المستأجرين او الابقاء عليهم ، **وقانون حماية المزارعين** لعام ١٩٢٩ الذي يؤمن تعويض انذار سنة . وكان علي ايضا ان ألفت النظر الى ان هذه الحقيقة ، وهي بلا ريب قلب مشكلة تكاثرت بمعدل مفزع ، وقد اوجزها وبحثها آرثر روبن في كتابه « الاستعمار الزراعي للمنظمة الصهيونية في فلسطين » ، الصادر في لندن عام ١٩٤٧ .

واعترضت المحررة بعنف ، كذلك ، على ما كشفت عنه من حقائق فظة حول ممارسة التمييز